



لم يكن المال في لحظة من اللحظات سببا في السعادة ، ولا كان منبتا لفضيلة ، ولا دافعا نحو قيمة ، إلا ما كان منه لله سبحانه نفقته ، فكان كرما وصدقة وعطاء .

ومنفعة المال في الدنيا معدومة ، إذ يجمعه صاحبه فيتعصب في جمعه ، ثم يتركه لورثته ويرحل ، وما أخذ منه سوى رزقه الذي قدر له .

والمال على المستوى التربوي قيمته متعلقة بطاعة الله فيه وبه ، فالمال المفيد هو المال الصالح في يد الرجل الصالح ، وغير ذلك فتبعة ومسؤولية وربما حسرة ..

وكم رأينا من فقير سعيد ، بينما أغنياء كثر غير سعداء ، بل كم رأينا من أغنياء وصلوا بمالهم قمة الغنى المادي يصبحون يوميا لا يلرون على شيء سوى رغبتهم في أن يتخلصوا بأنفسهم من حياتهم إلى مصيرهم يقولون إنه مجهول ، ونحن نقول لهم إنه مصير بائس .

بل إنك ترى الإبداع يكثُر نبته بين الفقراء ويقل عند الأغنياء ، والشجاعة والنباهة والفضيلة تجد لها بين متواضعين الحال مرتعاً بينما يضيق مسراها ومغداها بين القصور وواسع الدور .

الأطفال في هذه القضية لا يختلفون عن الكبار كثيراً ، فحفظ الطفل الفقير في غالب الأحوال خير من قرينه الغني ، على الرغم أن الظاهر غير ذلك !

لكن كيف أخلص إلى تلك الفرضية المستغربة بينما يرى الناس أطفال الأغنياء يرتعون في مترف العيش ، ويتعتمدون بمختلف النعم ، فإذا أرادوا اللعب وجدوا عشرات الألعاب ، وإذا أرادوا التريض وجدوا أفسح الملاعب والنواحي ، وإذا أرادوا الطعام أو الشراب تلذذوا بما لذ وطاب ! .. بينما قرناً لهم الفقراء يُعْذَّبُ آباءُهم عليهم الدراما عدا ، ويعذبونهم من معظم ما يرتجون من المشتريات ، ويضيقون عليهم في رغباتهم في الطعام والشراب والألعاب نتيجة قصر ذات اليد وضعف ذات الإمكانيات .

والجواب على هذا الذي قد يستغربه القارئ يكمن في تدبر أكثر عمقاً للقضية ، وتفهم أكثر حكمة لطبيعة الحياة ، فمن ذا الذي يستطيع أن يقرر أن كثرة الألعاب في صالح التربية أو أن تلبية كل الطلبات هي في مصلحة البناء النفسي للأبناء ، أو أن لذذ الطعام والشراب دافع لمستقيم الأخلاق ؟!

إن نفسية الأطفال نفسية لطيفة نقية شفافة لينة سريعة التأثر بما يحيط بها ، تتربي على ما تنمو عليه ، وتشكل حسبما تتقولب فيه ، وبحسب معطيات النمو وطبيعة القالب يكون مبنهاها وتكون أوصافها .

فالطفل الذي يجد أمامه مبتغاه بمجرد الطلب سينشأ معتاداً على ذلك معتاداً على تلبية كل طلباته ورغباته ، ولن يعوّقه عائق إذا ما اشتد عوده ، وتمرس عقله ، وإذا دارت عليه دورة الأيام دورة سلبية فقد بعض ماله أو بعض رهطه وصحبه سيبحث عن إجابة طلبات نفسه على أي حساب كان من سوء الأخلاق أو كريه المبادئ ..

والطفل الذي يتربى ناعم اليد مترف العيش سيكبر غير عابئ بالفقراء ، غير مكترث لمعاناتهم ، غير آبه بمعنى كد العيش والعطاء في الحياة لآخرين .

والطفل الذي ينشأ مستجاب للمطالب ، يعيش في رغد دائم ، لن يتعلم المشاركة في العمل ، ولن يتفهم أثر الآخرين في الحياة ، وسينظر للأغيار كونهم وسائل لمراداته فحسب ..

والطفل الذي يتفاعل مع الحياة باستهتار وحياناً أيامه باحثاً عن المتعة والترفه ، سينكسر أمام الفتى ، وسيتراجع أمام الاختبارات والابتلاءات .

لاشك أن هنا محوراً هاماً يجب أن نؤكد عليه في حديثنا ، وهو أن للحرمان أيضاً أثراً سلبياً على نفس الأطفال ، وللشعور بالدونية أثر غير مرغوب فيه ، وأنه ينشئ النفس تواقة لكل جديد غير قانعة بما في يدها .

والحل في ذلك أن يقوم الوالدان – سواء أكانوا أغنياء أو فقراء – بواجب التربية على التوازن والوسطية والاعتدال ، فيعملون ببناءهم معنى تحمل المسؤولية ، ولا يكترون المال في أيديهم مهما كانوا أغنياء ، ويمتنعون عن تلبية كثير من طلباتهم ورغباتهم رجاءً أن ينشأوا على تحمل المسؤولية ، متفهمين معنى الرجولة والصلابة .

كما أن على الآباء الفقراء أن ينتبهوا لتعليم ابنائهم القناعة والرضا بما قسم الله لهم ، وبناء القيم والمبادئ في قلوبهم ، وترسيخ معنى العفاف بما في يد الآخرين ، ومعنى غنى النفس ، ومعنى التوكل على الله والأخذ بالأسباب وغير ذلك إن ترثيكة يتركها الأباء – كفاضل الأخلاق وطيب الصفات – لتنقل أضعافاً في ميزان الحق والصواب .

كما أن ميراثاً من العقل والأدب والرجولة والمرودة والاعتماد على الذات ، والعزّة والكرامة لهو الثروة الحقيقية التي يجب أن يتركها الآباء الحكماء لأبنائهم .

فيتركونهم واثقين في حسن خطائهم ، ويفارقونهم تاركين الصلاح ينبت ، والثواب ينمو مهما رحلوا عن الحياة ...

المصادر:

المسلم